المحاضرة الثالثة عشر: المدرسة الوضعية

الأهداف التدريسية :

- مساعدة الطالب في التعرف على المدرسة الوضعية.
- تمكين الطالب من استيعاب الجذور الفكرية للمدرسة الوضعية.
- مساعدة الطالب على فهم التصور المنهجي للمدرسة الوضعية .

المحتويات :

1. التعريف بالمدرسة الوضعية.
2. رواد المدرسة الوضعية
3. الجذور الفكرية للمدرسة الوضعية
4. التصور المنهجي للمدرسة الوضعية
5. أسئلة للمناقشة

1. التعريف بالمدرسة الوضعية:

الوضعية فلسفة واقعية، نشأت كاتجاه فكري رافض للمعرفة الفلسفية الميتافيزيقية الاعتقادية غير المبرهنة، تؤمن بإمكانية تحقيق المعرفة العلمية و استخلاص القوانين المكتسبة بالتجربة في دراسة الإنسان و ما يتصل به من ظواهر ما فوق فردية في محيطه الاجتماعي في إطار ما بات يُعرف بعلم الاجتماع و ذلك اعتمادا على قاعدة القياس بالمماثلة بين أساليب و مناهج دراسة الظاهرة الاجتماعية في علم الاجتماع من جهة و الأساليب و المناهج المُعتمدة في دراسة الظاهرة الطبيعية في العلوم الطبيعية من جهة أخرى.

2. رواد المدرسة الوضعية:

Auguste Comte
1857 1798

يعتبر الفيلسوف و عالم الاجتماع الفرنسي أوغست كونت Auguste Comte أول و أشهر القائلين بالفلسفة الوضعية ، مستمدا علمه و فلسفته مما درسه عن Francis Bacon و تلقاه عن سان سيمون Claude Henri de Rouvroy, comte de Saint-Simon. و قد أخرج كونت عدة أعمال متكاملة يشرح فيها الفكر الوضعي أهمها "مذهب في السياسة الوضعية" و "دروس في الفلسفة الوضعية" الذي يتألف من ستة مجلدات سماه لاحقا بعلم الاجتماع.

3. الجذور الفكرية للمدرسة الوضعية:

يمكن رد الجذور الفكرية للمدرسة الوضعية الى القرنين السادس عشر و السابع عشر الميلاديين ، و هي الفترة التاريخية التي شهدت انفصال العلوم عن الفلسفة . اذ يعتبر الفيلسوف البريطاني Francis Bacon أول من أطلق "صفة وضعي على الحقائق الأولية التي يجب تقبلها ايمانا بصدق الخبرة" في كتابه "في المبادئ و الأصول " سنة 1623. ولأن Bacon أكد بأن المعرفة يمكن الحصول عليها فقط اعتمادا على الملاحظة في العالم الواقعي ضمن الأطر التي تحددها مجموعة قواعد المنهج العلمي ، فقد حظيت أفكاره بتقدير كبير لدى الفلاسفة التجريبيين في أوروبا لتصبح بذلك "كلمة وضعي تطلق على مناهج العلوم الطبيعية" التي تعرف باعتمادها على الملاحظة و التجربة في تحصيل المعرفة .

نشأت الفلسفة الوضعية كطريقة للتفكير ترفض تحقيق المعرفة اعتقاديا دون برهنة ، لذلك يعتبرها الباحثون ثورة على الفلسفة الميتافيزيقية ،اذ يؤكد الفكر الوضعي أن البحث لا يمكن أن يتعدى دراسة الواقع المحسوس دراسة قائمة على التجربة و الملاحظة في العالم الواقعي.

4. التصور المنهجي للمدرسة الوضعية:

رسم أوغست كونت مسار تطور الفكر البشري في إطار ما يعرف بـ "قانون الحالات الثلاث" إذ يربط كونت بين مظاهر الفوضى الأخلاقية و الاجتماعية من جهة و الفوضى العقلية من جهة ثانية ، و يرجع هذه الأخيرة الى استمرار سيطرة اتجاهات الفكر الديني و الفلسفي معتبرا أن هذين الاتجاهين يمثلان مراحل سابقة يجب تجاوزها و الانتقال الى مرحلة جديدة هي مرحلة الفكر الوضعي التي يمكن من خلالها ،حسب رأيه، مواجهة مشكلات المجتمع من خلال العلم ، و يمكن تلخيص مراحل قانون الحالات الثلاث على النحو التالي :

المرحلة اللاهوتية الأسطورية : تسود المعاني اللاهوتية كأساس مشترك متين للحياة الخلقية و الاجتماعية حيث تمثل هذه المرحلة مرحلة سلطة الكهنة و الملوك، و من بين أهم خصائص المرحلة اللاهوتية أن موضوعها مطلق و تفسيراتها فائقة للطبيعة .

المرحلة الميتافيزيقية الخيالية : انتقل الفكر البشري في هذه المرحلة من تفسير الوقائع بردها الى قوى ما فوق الطبيعة الى تفسيرها بردها الى قوى مجردة مرتبطة بمختلف الموجودات التي تحيط به ، و من بين أهم خصائص المرحلة الميتافيزيقية أن المجرد أخذ مكان المشخص و أن الاستدلال حل محل الخيال.

المرحلة الوضعية العلمية : يدرك الفكر البشري في هذه المرحلة أنه لا يمكن الوصول الى معرفة مطلقة فاهتم بالبحث في عناصر الظواهر و مكوناتها و القوانين التي تحكمها ، و من بين أهم خصائص المرحلة الوضعية أن الملاحظة أخذت مكان الخيال و الاستدلال و تحول الاهتمام من السعي الى ادراك العلل إلى الاهتمام بتحديد القوانين.

و عليه تعتبر المدرسة الوضعية ثورة على الفلسفة الميتافيزيقية ، ذلك أنها أنكرت كل تفكير ميتافيزيقي يستند في مسار بحثه عن الحقيقة على مبادئ قبلية سابقة للتجربة الحسية ، حيث تنادي الوضعية بضرورة اعتماد الاستقراء في تحصيل المعرفة من خلال "دراسة الواقع المحسوس دراسة قائمة على التجربة".

يتأسس تحقيق المعرفة في الفكر الوضعي على عمليات التفسير المستندة الى المشاهدات و التجريب بهدف الوصول الى القوانين العامة التي تخضع لها الظواهر ، لذلك ينشد أتباع الفكر الوضعي محاكاة نماذج التفسير المعتمدة في العلوم الطبيعية اعتمادا على استعارة الأساليب المنهجية في هذه العلوم و تطبيقها في بحث الظاهرات الانسانية و الاجتماعية سعيا لبلوغ التقدم الذي أحرزته.

5. أسئلة للمناقشة

- ما المقصود بالفلسفة الوضعية ؟
- ما الذي يقصده كونت بـ "قانون الحالات الثلاث" ؟
- اشرح قاعدة التصور المنهجي الوضعي.